﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾

[طه: 115]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربْطُ الأمر بالتَّأنّي في تلقّي القرآن والاستزادة من العلم بقصَّة نسيان آدم

لمّا كانت قصَّة مُوسى ﷺ مع فرعونَ وقومه ذاتَ عِبرةٍ للمُكذِّبين والمُعاندين الَّذين كذَّبوا النَّبيَّ ﷺ، وعاندوه، وذلك المقصودُ من قصصها، فكأنَّ النَّبيَّ ﷺ استحبَّ الزّيادة من هذه القصص ذاتِ العِبرة رجاءَ أن يفيق قومُهُ من ضلالتهم؛ أُعقِبت تلك القِصَّةُ بقصَّة آدم ﷺ، وما عرض له به الشَّيطان تحقيقًا لفائدة قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾، وكذلك لمّا تقدَّم ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ﴾ [طه: 99]، فعظَّم أمرَ القرآنِ، وبالَغ فيه؛ وذكَر هذه القصَّةَ إنجازًا للوعدِ[1].

وكذلك فالآية السّابقة نبّهت النبيّ ﷺ للوفاء بتبليغ القرآن على الوجه الذي أراد الله تعالى، وذلك من خلال التّثبّت أثناء تلقّي الوحي، فهو عهد حريٌّ الوفاء به على أكمل كماله، وأتمِّ تمامه، فجاءت بعد ذلك صورة يمكن أن تحدث له إذا لم يتثبَّت ممّا يتلقّى من آيات ربِّه ﷻ، وهذه الصورة هي ما ذُكِرَ من عهد آدم ﷺ[2].

انتظام الآية في سياق القصص للسورة

وجملة: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ﴾ تأتي تذييلًا لقصَّة هارون مع السّامريِّ، وقوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾، أي: من قبل هارون، والمعنى: أنَّ هارون لم يكن له عزمٌ في الحفاظ على ما عهد إليه موسى، وانتهت القِصَّة بذلك التَّذييل، ثُمَّ عطف على قصَّة مُوسى قصَّة آدم؛ تَبَعًا لقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ﴾ [طه: 99][3].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 10.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 8/ 833.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 320.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَهِدْنَآ﴾: (عهد) أَصْلٌ يدلُّ على الاحتِفاظِ بِالشَّيءِ وإحداثِ العَهْدِ بِهِ، والعَهْدُ يأتي في أشياء مُختلفَة: فمنها الحِفاظُ ورعايةُ الحُرْمَة، ومِنْها الوصيَّةُ؛ وإنَّما سُمّيَت بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ العَهْدَ مِمّا يَنْبَغي الاحْتِفاظُ بِهِ[1]، والعَهدُ: الأمان، ومِنَ العَهْدِ أيضًا: اليَمين يحلفُ بها الرَّجُل، وكذلك: الالتِقاءُ والإلمامُ، يُقالُ: ما لي عَهْدٌ بكذا، وإنَّه لقريبُ العَهْد بِهِ، والعَهْدُ أيضًا: المنزلُ الَّذي لا يكادُ القوم إذا انْتَأوْا عنه؛ رجَعُوا إليه[2]، والعهد كذلك: الميثاق، ومِنه قَوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النّحل: 91][3]، والمعهَد: المَوضِعُ الَّذي كنتَ عهِدتَهُ، أو عهِدتَ بِه هوًى لَك[4]، والعهد: الأمرُ الموثَّق الَّذي لا يجوز نقضُهُ، وهو أيضًا حفظُ الشَّيءِ، ومراعاتُه حالًا بعدَ حالٍ، والمعنى هُنا: أمَرْنا ووصَّيْنا[5].

2) ﴿فَنَسِيَ﴾: (نسي) أَصْلٌ تدلُّ تصريفاتُه على مَعْنَيَين: أحدهما: إغفالُ الشَّيءِ، والآخرُ: ترْكُهُ[6]، فمِنَ الأوَّلِ قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:286]، وحقيقةُ النِّسيانِ: ذُهُولُ القَلْبِ عَنْ مَعْلُوم[7]، ومِنَ الآخَرِ قولُ اللّه ﷻ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: 51]، فإنَّ معناه: نترُكُهم في العَذابِ كما تَرَكُوا العَمَلَ في الدُّنْيا لِلقاءِ اللّه تعالَى يَوْمَ القيامَة[8]، وقد عبَّر الرّاغبُ عن النِّسيانِ الجامعِ لقِسْمَيْه، بقولِه: "تَرْكُ الإنْسانِ ضَبْطَ ما اسْتُودِعَ، إمّا لضَعْفِ قَلْبِه، وإمّا عَن غَفْلَةٍ، وإمّا عَنْ قَصْدٍ حَتَّى يَنْحَذِفَ عَنِ القَلْبِ ذِكْرُهُ"[9]، والمعنى هُنا: غابَ عَن ذِكره، وتَرَكَهُ[10].

3) ﴿عَزْمًا﴾: (عزم) أصلٌ واحِدٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على الصَّريمَةِ والقَطعِ، والعَزْمُ: ما عَقدَ عليه القلبُ أنَّكَ فاعلهُ، أو هو عَقدُ القَلبِ على إمضاءِ الأمرِ[11]، وعزمت عليك لتفعلنَّ،

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (عهد).
(2) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (عهد).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (عهد).
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والنّوويّ، تهذيب الأسماء واللُّغات: (عهد).
(5) السّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 330، وابن الجوزيّ، تذكرة الأريب، ص: 233، وابن الهائم، التّبيان، ص: 93.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نسي).
(7) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/ 346.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 12/ 476.
(9) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن: (نسي).
(10) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 6/ 647.
(11) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (عزم).

أي: أقسمت عليك[1]، ويقال: إنَّ معنى ﴿عَزْمًا﴾: الثَّبات والقُوَّة، وقال بعضهم: الحَزْمُ: التَّأهُّبُ للأمر، والعَزْم: النَّفاذُ فيه[2]، والعزيمة في اللُّغة: عبارةٌ عن الإرادة المؤكدة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾، أي: لم يكن له قصد مؤكَّدٌ في الفعل بما أمر به، وعزائمُ القرآن: الآياتُ التي يُقرأ بها على ذوي الآفاتِ لما يُرجى من البُرءِ بها[3]، واعتزم الفرسُ في عنانه؛ إذا مرَّ جامحًا لا ينثني[4]، والمعنى هُنا: (صَبرًا وتَصميمًا وثباتًا)[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذِكرُ نسيانِ آدمَ ما عهدَ إليه، لضعفه تجاه وسوسة إبليس وزيغه

يذكرُ النَّظمُ الكريمُ أنَّ آدم ﷺ قد أُمِر بألّا يقربَ الشجرةَ، وتُوعِّد بالدخول في جملة الظّالمين؛ إن قربها، وذلك من قبل وجود ذريَّته، فخالف إلى ما نُهي عنه، وتُوعِّد في ارتكابه، ولم يلتفت إلى الوعيد[6]، بألّا يأكُل مِن الشَّجرةِ، ولا يَقرَبَها، وحَذَّره الله تعالى مِن طاعةِ الشَّيطانِ مِن قبلُ، ولكنَّه نَسيَ وصيَّة الله تعالى له، وأكل من الشَّجرة، ولم يصبر عنها، فلم نجِدْ له عَزمَ قلبٍ، ولا مسك إرادة على حِفظِ نفسه عمّا نُهي عنه، ولا صَبرًا على الوَفاءِ بالعَهد، ولا جَزمًا على تَركِ مُخالَفة تعاليم الله الصّارمة[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ عطفِ الجُملة على سابقتها:

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ "عطفٌ على ﴿وَصَرَّفْنَا﴾

(1) ابن دريد الأزديّ، جمهرة اللّغة: (عزم).
(2) الخطابيّ، غريب الحديث: 1/ 119.
(3) الخليل، العين: (عزم).
(4) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (عزم).
(5) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 283، والسَّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 336.
(6) الزمخشري، الكشاف: 3/ 91.
(7) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 4/ 103، 104، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسّر، ص: 320، وجماعةٌ من علماء التَّفسير، المُخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 320.

[طه: 113] عطْفَ القصَّةِ على القصَّةِ، والتَّخالف فيه إنشاء وخبر لا يضرُّ، مع أنَّ المقصود بالعطف، جواب القسم"[1].

دلالةُ الجملة القسميَّة في السّياق:

الاهتمامُ بالقِصَّة وما فيها من أخبارٍ مُعينٌ على التَّدبُّر والاعتبار

افتِتاحُ الجُملة بِحَرفِ التَّحقيقِ ولامِ القَسَمِ لمُجَرَّد الاهتِمامِ بالقِصَّة، والتَّنبيه على قَصدِ التَّنظيرِ بَين القِصَّتين في التَّفريطِ في العَهدِ؛ لأنَّ في القصَّة الأُولى تَفريطَ بني إسرائيلَ في عهد الله، كما قال فيها: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ [طه: 86]، وفي قِصَّة آدم تفريطًا في العهدِ أيضًا، وفي كونِ ذلك مِن عملِ الشَّيطانِ كما قال في القِصَّةِ الأُولَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ [طه: 96]، وقال في هذه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، وأنَّ في القِصَّتَين نِسيانًا لِما يَجِبُ الحِفاظُ عَلَيه وتَذَكُّرُهُ[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ﴾، أي: وأقسم قسمًا، لقد أمرنا أباهم آدمَ، ووصَّيناه ألّا يقربَ الشَّجرة[3].

الغرضُ من افتتاح القصَّة بجُملةٍ من المؤكِّدات:

مُراعاةُ أحوال المُرادِ تحذيرُهم مِن الإعراض عن ذكر الله لعباده

جاء التَّوكيد هُنا بحرف التَّحقيق (قد) وباللّام الموطِّئة للقسم مُراعاةً لأحوال المُراد تحذيرُهم من الإعراض عن ذكر الله لعباده؛ إذ أحوالُ مُعظم هؤلاء تحتاج إلى مُؤكِّدات، فهم مُعرضون فِعْلًا، وغيرُ مُسلِّمين بأنَّ عقاب الله سينزل بهم، إذا استمرّوا على إعراضهم، فهم يحتاجون إلى أمثلة تاريخيَّة مُؤكَّدة تتضمَّن عقابَ الله الشَّديد للمعرضين عن ذكر ربِّهم، وفي هذه التَّأكيدات أيضًا تَنبيهٌ على قصْدِ التَّنظيرِ بين القصَّتين في التَّفريطِ في العهدِ؛ لأنَّ في القصَّةِ الأُولى تَفريطَ بني إسرائيلَ في عهْدِ الله، كما قال فيها:

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 578.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 318.
(3) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 90.

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ [طه: 86]، وأنَّ في قصَّةِ آدمَ تَفريطًا في العَهْدِ أيضًا[1].

إيثارُ الفعل ﴿عَهِدْنَآ﴾ مادَّة وصيغة:

الدَّلالةُ على الشِّدَّة في الإلزام، والمُبالغة في الأمر والإيثاق والالتزام

العهدُ: حفظ الشَّيءِ ومُراعاته حالًا بعد حال، وعهدَ فلانٌ إلى فلان بعهد، أي: ألقى العهدَ إليه، وأوصاه بحفظه، وسُمّي المَوْثِقُ الَّذي تلزم مُراعاته عَهْدًا، وعهدُ اللّه تارة يكون بما ركَّزه في عقولنا، وتارة يكون بما أمرنا به بكتابه وبألسنة رُسلِه، وتارة بما نلتزمه، وليس بلازم في أصل الشَّرعِ كالنُّذور وما يجري مجراها[2]، والعهد هُنا بمعنى الوصيَّة، وهي أبلغ في الأمر، والشَّيء الَّذي عهد إلى آدم ﷺ هو ألّا يقرب الشَّجرة[3]، وقد نبّهه اللّه تعالى، فقال له: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾؛ ليُعْلِمَه بأصل تلك العداوة المستحكمة بينه وبين إبليس الَّذي عصى اللّه كِبرًا وبُغضًا لآدم، وأقسم أن يسلِّط عليه وعلى ذرّيَّته ألوان الغيِّ والإغواء والنَّزغ، ومع ذلك نسي، وترك ذلك العهد، وعليه فأمرُ البشر في ترك التَّحفُّظ أمرٌ قديم[4]، وانتخابُ لفظ العهد دالٌّ على الشِّدَّة في الإلزام، لتكون أشدَّ في التَّحذير، وأبلغَ في العهد إلى محمَّد ﷺ[5].

بلاغةُ الإيجازِ بحذف المعهود في الآية:

الحذفُ اختصارًا للعلم بالمعهود

في الآية الكريمة إيجازٌ بالحذْف؛ فالمعهودُ مَحذوفٌ، يدُلُّ عليه ما بعْدَه، واللّامُ جوابُ قسَم مَحذوفٍ، أيْ: وأُقسِمُ لقد أمَرْناهُ، ووصَّيناهُ[6]، والمعهود المحذوف، وهو النَّهي عن الأكل من شجرة معيَّنة، كما ستأتي الإشارة إليه في سياق الآيات الَّتي بعدها[7].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 318.
(2) البروسويّ، روح البيان: 5/ 433.
(3) الثّعالبي، الجواهر الحسان: 4/ 70.
(4) ابن عادل الدّمشقيّ، اللّباب في علوم الكتاب: 13/ 401.
(5) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 4/ 66.
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 44.
(7) القنوجيّ، فتح البيان: 4/ 375، والطَّنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 9/ 158.

وقد ذكر هذا العهدَ صراحةً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة:35]، فقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة:35] هو عهده إلى آدم المذكور هُنا[1].

دلالةُ إسنادِ الفعل إلى ضمير العظمة:

قولُهُ تعالى: ﴿عَهِدْنَآ﴾، أي: بما لنا من العظمة[2]، وفي إضافة الفعلِ إلى ضمير العظمةِ والكبرياء دليلٌ على عظمة شأن هذا العهد؛ لأنَّه صادرٌ عن العظيم ﷻ، وتقدَّست أسماؤه، والمعنى: يا أكملَ الرُّسل لا تكن ناسيًا نهينا مثلَ نسيانِ أبيك آدمَ عهدَهُ معنا، فقَد عَهِدنا إلى أبيك آدَمَ مِن قَبْلُ بقولنا نهيًا له ولزوجته: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: 35]، فنَسيَ عهدنا هذا بتغرير الشَّيطان له، مع أنَّ نفْعَهُ عائدٌ إليه سيَّما وقد أكَّدناه بالمواثيق الوثيقة[3].

تعظيمُ شأن العهدِ الصّادر عن العظيم ﷻ مقصد مهمٌّ في السّياق

فائدةُ الإيجازِ بالحذف في ﴿قَبْلُ﴾:

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾، أي: في زمن من الأزمان الماضية، قبل هؤلاء الَّذين تقدَّم في هذه السّورة ذِكرُ نسيانهم وإعراضهم[4]، وهم الَّذين صرَّف لهم من الوعيد في القرآن؛ لعلَّهم يتَّقون، وهم النّاقضون عهدَ الله، والتّاركون الإيمانَ[5]، أو من قبل أن يخالفَ أمرنا، فيقربَ الشجرة، ويأكلَ منها، أو من قبل أن نخبرَكَ بذلك أيُّها الرَّسول الكريم[6]، فحذف ما أُضيف إليه (قبل)؛ لأنَّ بناءَ (قبل) على الضَّمِّ علامةُ حذفِ المضاف إليه ونيَّة معناه[7].

تعدُّدُ المعنى وتنوُّعُهُ مرتبطٌ بما يُنوَى من المحذوف

(1) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 6/ 646.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 354.
(3) نعمة الله علوان، الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة: 1/ 522.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 35.
(5) أبو حيّان الغرناطيّ، البحر المحيط: 7/ 388.
(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 106، والطَّنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 158.
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 319.

دلالةُ الفاءِ وإيثار الفعل في قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾:

الإشـــارةُ إلى شـمـولِ لطف الـلـه ورحـمـتـه لآدم ﷺ بإظهار عذرِه

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ للتَّعقيب، وهو تعقيبٌ عرفيٌّ[1]، وفي التَّعبير عن مُخالفة أمر ربِّه وأكْلِه من الشَّجرة بالنِّسيان إشارةٌ إلى ما شمل الله ﷻ به آدمَ من لطفه ورحمته، فتاب عليه، وغفر له، وجعل معصيتَهُ تلك من قبيل ما يقع من الإنسان من سهوٍ ونسيان[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالنِّسيان بين الحقيقة والمجاز:

العتابُ على تركِ التَّحفُّظ والتَّثبُّت

في النِّسيان المذكورِ هنا قولان، **أحدهما**: المرادُ ما هو نقيض الذِّكر، وإنَّما عوتبَ على ترك التَّحفُّظ والمبالغة في الضَّبط حتّى تولَّد منه النِّسيان[3]، وكان الحسن رحمه الله يقول: "والله ما عُصي قطُّ إلّا بنسيان"، **والثّاني**: أنَّ المُراد بالنِّسيان التَّركُ، وأنَّه ترك ما عهد إليه من الاحتراز عن الشَّجرة وأكْلِ ثمرتها[4]، وهو بهذا المعنى مجازٌ، حيث ذَكَرَ النِّسيان، والمُراد التَّركُ، وهو مجازٌ مُرسل بعلاقة السَّببيَّة، ذلك أنَّ التَّرك سببه النِّسيانُ، فأُقيم السَّبب مقامَ المُسَبَّب، فالمُرادُ بالنِّسيان هُنا التَّرك؛ لأنَّه ترك ما وصّى به من الاحتراس عن الشَّجرة وأكْـلِ ثمرتها.

توجيهُ معنى العصيانِ عند إرادة الحقيقةِ من النِّسيان:

بيانُ أنَّ العُذر بالنِّسيان هو من خصائصِ هذه الأُمَّة

من العُلماء من يرى أنَّ النِّسيان على حقيقته، أي: إنَّه ضدُّ التَّذكُّر، فيكون المعنى: ولقد عهدنا إلى آدم من قبلُ، فنسي ما عاهدناه إليه، وغاب عن ذهنه ما نهيناه عنه، وهو الأكل من الشَّجرة، فإن قيل: إنَّ النّاسي معذورٌ، فكيف قال الله تعالى في حقِّه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟ فالجواب: أنَّ آدم ﷺ لم يكن معذورًا بالنِّسيان؛ لأنَّ العذرَ بسبب الخطأ والنِّسيان والإكراه من خصائص

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 578.
(2) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ: 8/ 833.
(3) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 6/ 647.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 106، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 578.

هذه الأمَّةِ الإسلاميَّة[1]، فلم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعًا عن الإنسانِ بل كان يُؤاخَذُ به[2]، بدليل قوله ﷺ: "إنَّ اللّه تَجاوَزَ لي عَنْ أُمَّتي الخَطَأَ والنِّسيان وما استكرِهوا عليهِ"[3].

فائدةُ عطف جملة ﴿وَلَمْ نَجِدْ﴾ على ما قبلها:

قولهُ تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ مقرِّرٌ لما قبله من نسيان آدم[4]، والوجودُ بمعنى العلم، ومفعولاه: ﴿لَهُۥ عَزْمًا﴾،[5] "قال صاحب الكشّاف والبيضاويُّ وغيرهما: إنَّ الجملة معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [طه: 113]، يعني: نقض العهد بعد تصريف الوعيد لهؤلاء، ليس أمرًا مبدعًا منهم، بل أساس بناء آدم على العصيان، وعِرقهم راسخٌ فيه النِّسيان، حيث عهدنا إلى آدم من قبلُ، فنسي"[6].

دلالةُ الكنايةِ باستعمال نفي الوجدان في معنى عدم وجوده:

تبرئةُ آدمَ ﷺ من تعمُّد العصيان بالمُبالغة في نفي وجوده

استُعمِلَ نفيُ وِجدانِ العزمِ عندَ آدمَ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾، في مَعْنى عدَمِ وُجودِ العزْمِ من صِفَتِه، فيما عُهِدَ إليه؛ تَمثيلًا لحالِ طلَبِ حُصولِه عنده بحالِ الباحثِ على عزمِه، فلم يجِده عنده بعدَ البحثِ، فأُقيم عدم الوجدان مقامَ عدمِ الوجود من قبيل الكناية[7]، وبلاغةُ الكناية هُنا: تبرئةُ آدم ﷺ من تعمُّد العصيان بالمُبالغة في نفي وجوده، بذكر حالة تشبه حالَ الباحثِ عن شيء، ولم يجده، لكونه غيرَ موجود أصلًا.

(1) القرطبيّ، تفسير القرطبيّ: 11/ 251، والطَّنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 158.
(2) الخطيب الشربيني، التفسير المنير: 2/ 487.
(3) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الطلاق، برقم (2801) وابن ماجه، سنن ابن ماجة، كِتابُ الطَّلاقِ، بابُ طَلاقِ الْمُكْرَهِ والنّاسِي برقم: (2045)، وهو حديث صحيح، ينظر: الألباني،: صحيح الجامع الصغير وزيادته: 1/ 358.
(4) الطَّنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 158.
(5) النّسفيّ، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل: 2/ 386.
(6) المظهريّ، محمّد ثناء الله، التّفسير المظهريّ: 2/ 386.
(7) القنوجيّ، فتح البيان: 8/ 284، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 319.

سِرُّ تقديم ﴿لَهُۥ﴾ على ﴿عَزْمًا﴾:

الاهتمامُ بالمُقدَّمِ والتَّشويقُ إلى المُؤخَّرِ

قُدِّمَت شبه الجملة ﴿لَهُۥ﴾ على المفعولِ؛ للاهتمامِ بالمُقدَّم، والتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ[1]، ومعنى لفظ ﴿عَزْمًا﴾ هنا: التصميم على الاحتياط في كيفيَّة الاجتهاد، فهو إنَّما أخطأ في الاجتهاد، أو تكون بمعنى: لم نجد له عزمًا على الذَّنب، فإنَّه أخطأ، ولم يكن يتعمَّد ذلك، وهذا - لعمري - أقربُ إلى المدح، ولفظ ﴿عَزْمًا﴾ واقعٌ مفعولًا به، وشبهُ الجملة ﴿لَهُۥ﴾ حالٌ من عزمًا، أو هي متعلِّقة بالفعل ﴿نَجِدْ﴾ أو بلفظ ﴿عَزْمًا﴾، وقد كان تقديمُ ما يشير إلى آدم لانعقاد المعنى عليه، وبناء القصَّةِ على امتحانه[2].

دلالةُ استعمالِ لفظ العزم دون غيره:

بيانُ أنَّ أوَّلَ نَقْصٍ دَخَلَ على البَشَرِ كان مِن عَدَمِ العَزْمِ

قوله تعالى: ﴿عَزْمًا﴾، أي: قصدًا صلبًا ماضيًا وإرادة نافذة[3]، فأكلَ من تلك الشَّجرة، ولم يكن عنده قبل ذلك عزمٌ وتصميم على ذلك؛ إذ كان قد صمَّم على تركِ الأكل، ثمَّ فترَ عزمه، عند ما وسوسَ إليه إبليسُ بالأكل، فلم يصبر عن أكلِ الشَّجرة، وهذا يدُلُّ على أنَّ أبانا آدَمَ ﷺ ليس من الرُّسُلِ الذين قال اللَّهُ فيهم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35]، وهم: نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، ومحمَّدٌ، صلَّى اللَّه عليهم وسلَّم، على الأشهرِ في تحديدِ أُولي العزم[4]، وفيه بيانُ أنَّ أوَّلَ نَقْصٍ دَخَلَ على أبي البَشَرِ، وسَرَى إلى أولادِه، كان مِن عَدَمِ العَزْمِ[5]، فقد نسي آدم، فنسيت ذريَّته، وأخطأ، فكان منهم الخطأُ، ولم يثبت آدم على العزم المؤكَّد، وهم كذلك، وبادر بالتَّوبة من خطيئته، وأقرَّ بها، واعترف، فغُفِرت له، ومن شابه أباه فما ظلم[6].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 45.
(2) الجاويّ، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: 2/ 40، (بتصرّف).
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 355.
(4) الحكميّ، معارج القبول: 2/ 680.
(5) ابن القيّم الجوزيّة، طريق الهجرتين، ص: 107.
(6) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 514.

دلالةُ تقديم ذكرِ خاتمة قِصَّة آدمَ على أحداثها:

في القصَّة تقديمٌ وتأخيرٌ، فقد قُدِّمت خاتمتها على أحداثها، فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ هو ختام القِصَّة أو التَّعقيب عليها، وقُدِّم للاهتمام به، ولإلفات النَّبيِّ ﷺ إليه؛ لأنَّه هو المقصود من القِصَّة هنا[1].

الاهتمامُ بالعهد وإلفاتُ النَّبيِّ ﷺ إليه مُفيدٌ في الدَّلالة على المراد

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العهْد والميثاق:

العهدُ هو الالتزامُ بإلزام الله، أو إلزامُ العبدِ لنفسه[2]، فيُقال في العهد: عَهِدَ إليه في كذا: أوصاهُ به، والعهدُ له معانٍ: منها: الوصيَّة، والضَّمان، والأمر[3]، أمّا الميثاق؛ فهو ما وُثِّقَ به العهدُ من القَبول والإلزام والحلف[4]، فالميثاق توكيدُ العَهد، وهو مأخوذٌ من أوثقتُ الشَّيءَ؛ إذا أحكمتُ شدَّهُ، وأخذتُ الأمر بالأوثق، أي: الشَّديد المُحكم[5]، وقالَ بَعضهم: العَهدُ يكون حالًا من المتعاهدين، ويَقتَضي الإنجازَ، والميثاق يكون من أحدهما[6]، فالعهد: إلزامٌ والتزام سواء كانت فيه يمين أم لم تكن، والميثاق: هو العهد الشَّديدُ المؤكَّدُ، فهو نوعٌ مِنَ العهد.

العـهـدُ أعـمُّ مـن الميـثـاق في معناه، والميثاقُ هو عَهْدٌ مُؤكَّد لا يجوز إخلافه

النِّسيان والغفلة:

الغفلةُ عبارةٌ عن عدم التَّفطُّن للشَّيءِ، وعدم حضوره في البال بالفعل، سواء بقيت صُورَتُه أم معناه في الخيال أو الذِّكرِ، أم انمحت عن أحدِهما؛ فهي ترك باختيار الغافل، والنِّسيان غيبَة الشَّيء عَن القلب، بِحَيْثُ يحْتاج إلَى تَحصيل جَديد[7]، فهو تركٌ بغير اختياره،

الـغـفـلـة تَـرْكٌ باختيار الغافل، والنِّسيان تَرْكٌ بغير اختياره ولا رغبته

(1) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 834.
(2) عبدُ الرَّحْمنِ السِّعدي، تَيْسيرُ الكَريمِ الرَّحْمن: 1/ 83.
(3) الخليل، العين: (عهد)، والكَفَوِيُّ، الكُلِّيات، ص: 640، والقرافيّ، أنوار البروق: 3/ 37.
(4) المناويُّ، التَّوقيفُ، ص: 320.
(5) ابن دريد الأزديّ، جمهرة اللُّغة: (ثقو).
(6) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 57.
(7) الكَفَوِيُّ، الكُلِّيات، ص: 506.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:205]، ولم يقل: ولا تكن من النّاسينَ، فإنَّ النِّسيانَ لا يدخل تحت التَّكليف، فلا يُنهَى عَنهُ[1]، فالغفلة أعمُّ من النِّسيانِ؛ لأنَّ النِّسيان يَحْتاج صاحبه إلى تَجَشُّم كَسْبٍ جديد، وكُلْفَةٍ في تحصيله ثانيًا[2]، فكلُّ نِسْيانٍ غَفلَةٌ، وليست كُلُّ غَفْلَةٍ نِسْيانًا.

الهَمُّ والعزم:

الـهَـمُّ خـطـور الأمر في النَّفس، والـعـزم هـو الـقـصـد عـلى إمضائه

فَرَّق أهل العلم بين الهَمِّ والعزم بفروق كثيرة، فقالوا: إنَّ الهمَّ: بَدءُ الإرادة، والعزمُ: مُنتهاها[3]، وقالوا: الهَمُّ في باب المعصية، هو الميل الغريزيُّ أو الميل الطَّبعيُّ، فإنْ صَرَفَهُ عنه وازعُ التَّقوى؛ كُتِبَ له به حسنة لقول الرَّسول ﷺ: "وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فلَم يَعمَلْها، كَتَبَها اللّهُ عِندَهُ حَسَنَةً كامِلَةً"[4]، بينما يُعاقَب بالعزم على المعصية؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجّ:25].

وعليه يكون كلٌّ من الهَمِّ والعزم من مراتب القصد، فإنَّ أوَّل ما يَمُرُّ الأمرُ بالقَلبِ يُسَمَّى خاطِرًا، فإذا تَرَدَّدَ؛ صارَ حديث نفس، فإذا ترجَّح فِعلُهُ؛ صارَ هَمًّا، فإذا قَوِيَ، واشتَدَّ؛ صارَ عَزْمًا، فإذا قَوِيَ العَزْمُ واشْتَدَّ؛ حَصَلَ الفِعْلُ أوِ القَوْلُ[5]، وقد جمعها بعضهم في قوله:

مَراتِبُ القَصْدِ خَمسٌ هاجِسٌ ذَكروا*** وخاطِرٌ فحَديثُ النَّفْسِ فاسْتَمِعا
يَليه هَـمٌّ فـعَـزْمٌ كُـلُّها رُفِعَتْ*** سِوى الأخيرِ ففيه الأخْذُ قَدْ وقَعا[6]

فالهَمُّ فوق الإرادة دون العزمِ؛ لأنَّ العزمَ عَقدُ القَلْبِ على إمضاء

(1) ابن قيّم الجوزيَّة، مدارج السّالكين: 2/ 405.
(2) أبو هلال العسكريُّ، الفُروق اللُّغويّة، ص: 389.
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 5/ 345، والكفوي، الكلّيّات، ص: 961.
(4) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحَيهما من حديث ابن عبّاس ﷺ، يُنظر: البخاريُّ، صحيح البخاريِّ، كتاب الرِّقاق، برقم: (6491)، ومسلم، صحيح مسلم، مسلم في الإيمان، بالحديث رقم: (131).
(5) أبو حيّان الغرناطيّ، البحر المحيط: 3/ 325.
(6) القِنَّوْجيُّ، فتْحُ البَيانِ: 2/ 160، والجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 1/ 360.

الأمر، مِنْ: عَزَمتُ الأمر، وعَزَمتُ عليه، فالعزمُ هو تصميم القلب على الشَّيءِ، والنَّفاذُ فيه بقصد ثابت[1]، وقد يأتي الهَمُّ بمعنى العزم على الفعل، كقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [المائدة:11]، أي: صمَّموا النّيَّة، وعزموا عليه، فيُرادف العزمَ، ويأتي بمعنى خطور الشَّيءِ في البال، وإن لم يقع العَزْمُ عليه، كقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: 122][2].

(1) الكفويّ، الكليات، ص: 961، والرّاغب الأصفهانيّ، المفردات: (عزم).

(2) أبو هِلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 356.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»